سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم

٢٥

مقالات في اللّاهوت

والحركة المسكونيّة

بقلم المطران كيرلّس سليم بسترس

منشورات المكتبة البولسيّة

PDF created with pdfFactory trial version www.softwarelabs.com

المقالة السابعة

قيامة المسيح وقيامتنا

كلُّ إنسانٍ مائت، ولكن ماذا بعد الموت؟ تؤمن المسيحيّة بوجود حياةٍ بعد الموت، تدعوها حياةَ الدهر الآتي والحياةَ الأبديّة. وتختم قانونَ الإيمان النيقاويّ القسطنطينيّ بقولها: "ونترجّى قيامةَ الموتى والحياةَ في الدهر الآتي". ما هو أساسُ هذا الإيمان بالقيامة، وكيف يُمكن الكلام على حياة الدهر الآتي؟

١ - إيمان السيّد المسيح بالقيامة

يرتكز إيماننا بالقيامة على إيمان السيّد نفسه بها. فالمسيح يُؤمن بالقيامة ويرجوها. فنسمعه يبيّن للصدّوقيّين الذين لا يُؤمنون بالقيامة أنّهم على ضلال عظيم، وأنّ "الله إلهُ أحياء وليس إلهَ أموات". فالأموات سيقومون، ولكن لحياةٍ روحيّة. "فعندما يقومون من الأموات لا يُزوّجون ولا يتزوّجون، بل يكونون كالملائكة في السماء" (مر ١٢: ١٨-٢٧). ويسوع أيضًا يرجو القيامة لنفسه. فكلّ مرّة يُنبئ تلاميذه بموته لا يفصلُ أبدًا موتَه عن قيامته: "أخذ يعلّمهم أنّه ينبغي لابنِ البشر أن يتألّمَ كثيرًا، وأن ينبذَه الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، وأن يُقتَلَ ويقوم بعد ثلاثة أيّام" (مر ٨: ٣١). وهذا اليوم الثالث هو، في التقليد اليهوديّ، "يوم تعزية الأموات"، أعني يوم القيامة.

إنّ الرجاء اليهوديّ لم يكن ينتظر قيامةَ شخصٍ واحد قبل القيامة العامّة. فقولُ يسوع إنّه سوف يقوم في اليوم الثالث هو إعلانٌ لبدء القيامة العامّة في شخصه. فقيامته هي عربون قيامتنا ورجاؤها.

٢ - قيامة المسيح عربون قيامتنا

يُركّز بولس الرسول إيمانَه بقيامة الأموات على إيمانه بقيامة المسيح: "إن لم تكن قيامةُ أموات، فالمسيح إذًا لم يقم... ولكن لا، فالمسيح قد قام من بين الأموات، باكورةً للراقدين. لأنّه، بما أنّ الموتَ كان بإنسان، فبإنسان أيضًا قيامةُ الأموات: فكما أنّه في آدم يموت الجميع، كذلك أيضًا في المسيح سيحيا الجميع" (١ كو ١٥: ١٣، ٢٠-٢٢). يسوع القائم هو "البكر من بين الأموات" (كو ١: ١٨؛ رؤ ١: ٥). ويسوع نفسه يربط القيامة بشخصه: "أنا القيامة والحياة" (يو١١: ٢٥). وهو نفسُه سوف يُقيم في

PDF created with pdfFactory trial version www.softwarelabs.com

اليوم الأخير الذين آمنوا به (رَ: يو ٥: ٢٤-٢٥؛ ٦: ٤٠)، والذين أكلوا جسده وشربوا دمه (رَ: يو ٦: ٥٤).

الكرازة بقيامة المسيحِ هي تأكيدٌ لقيامة جميع الناس. فكما أنّ آدم ممثّلَ البشريّة الأولى أدخل الموت إلى الجنس البشريّ، كذلك المسيحُ، ممثّل البشريّة الجديدة، أدخل الحياةَ إلى كلّ البشر. آدم الإنسان الأوّل كان بدءَ الحياة المائتة، أمّا المسيح الإنسان الجديد فهو بدءُ الحياة الأبديّة. لذلك "من يؤمن به فله الحياة الأبديّة" (يو ٣: ٣٦). المسيح هو إذًا مستقبلُ جميع الناس: ما حدث له سوف يحدث لجميع الذين يؤمنون به. إنّ قيامةَ المسيح هي حدثٌ منفتحٌ على المستقبل، إنّها تحقيقٌ مسبّق لما "تئنّ لأجله الخليقة كلّها" (رو ٨: ١٩-٢٣).

٣- كيف يقوم الأموات؟

إنّ قيامة الأموات هي موضوع إيماننا. إلاّ أنّه يصعبُ علينا تصوّرُها. لأنّ كلّ تصوّراتنا مستقاةٌ من هذا العالم المادّيّ. أمّا حياتنا في القيامة فستتمّ في عالم آخر غير مادّيّ. لذلك لا يُمكننا الكلام عليها إلاّ بواسطة التشابيه. وهذا ما يفعله بولس الرسول، فيسأل: "ولكن، قد يقول قائل: كيف يقومُ الأموات؟ وبأيّ جسدٍ يرجعون؟" هذا السؤال الذي طرحه المسيحيّون على بولس الرسول، لا نزال نطرحهُ اليوم أيضًا. يُجيب بولس بتشبيه، فيقول: "يا جاهل! إنّ ما تزرعه، أنت، لا يحيا إلاّ إذا مات. وما تزرعه ليس الجسم الذي سيكون، بل مجرّد حبّة من الحنطة، مثلاً، أو غيرها من البذور. إلاّ أنّ الله يُؤتيها جسمًا على ما يريد. لكلّ من البذور جسمُه المختصّ به... فهكذا قيامة الأموات: يُزرَعُ الجسد بفساد ويقوم بلا فساد، يُزرع بهَوانٍ ويقوم بمجد، يُزرَع بضعف ويقوم بقوّة، يُزرَع جسدٌ حيوانيّ ويقومُ جسدٌ روحانيّ" (١كور ١٥: ٣٩-٤٤).

الجسد، في كلام بولس كما في العقليّة الكتابيّة الساميّة، لا يعني العنصرَ الماديّ في الكائن البشريّ. الجسد هو الإنسان بكامله، في جسده الماديّ ونفسه الروحيّة، ولكن من حيثُ ظهورُه في العالم وعلاقتُه بالآخرين. الجسد هو، في الإنسان، ما تستطيع النفس أن تُنشِئ بوساطته علاقاتٍ مع الغير. الجسد في هذه الحياة هو جسدٌ مادّيّ، والإنسان يدخل في علاقة مع الآخرين من خلال هذا الجسد المادّيّ. بالقيامة

PDF created with pdfFactory trial version www.softwarelabs.com

تستمرّ العلاقة مع الله ومع الآخرين، ولكنّها تتحوّل. في هذه الحياة الجسدُ خاضعٌ للفساد والانحلال، والعلاقة خاضعةٌ للتغيّر والتبدّل ومرتبطة بالغريزة والشهوة والأنانيّة.

بالقيامة يتحوّل الجسد إلى جسدٍ روحانيّ لا يُسيطر عليه الفساد والانحلال، وتتحوّل العلاقة المتغيّرة المتبدّلة إلى علاقة روحيّة نقيّة شفّافة من خلال الاتّحاد بالله. يقول بولس الرسول: "إنّ اللحم والدم لا يستطيعان أن يرثا ملكوت الله، ولا الفساد أن يرث عدم الفساد". لذلك لابدَّ للإنسان من أن يتحوّل: "ولابدَّ لهذا الجسد الفاسد أن يلبس عدم الفساد، ولهذا الجسد المائت أن يلبس عدم الموت" (١كور ١٥: ٥٠-٥٣).

في هذا يقول القدّيس إيريناوس: "كما أنّ الخبزَ الذي يأتي من الأرض، بعد أن ينالَ استدعاء الله، لا يعود خبزًا اعتياديًّا، بل يصير إفخارستيًّا، مكوَّنة من شيئَين: أحدهما أرضيّ والآخر سماويّ، كذلك أجسادُنا التي تشترك بالإفخارستيّا لا تعود معرّضة للفساد، إذ إنّ لها رجاء القيامة" (**الرد على الهراطقة** ٤، ١٨، ٤-٥).

الجسد الذي سوف يتحوّل ليس "الجثّة المائتة"، بل الإنسان بكامله، في ذاته وفي علاقته بالله وبالآخرين، هذا "**الأنا**" الذي هو العنصر الشخصيّ الذي يجعل من الإنسان شخصًا متميّزًا من غيره من الأشخاص **وصاحب قرار** نابع من شخصه بالذات. **هذا "الأنا" الروحيّ والجسديّ هو الذي سيصير بالقيامة على صورة المسيح القائم من بين الأموات.** ولأنّ "الأنا" يستمرّ بعد الموت، ويبقى الإنسان هو نفسه الذي كان قبل الموت، وإن اتّخذ ثوبًا آخر، فهو يخضعُ للدينونة، وأعمالُه التي صنعها في حياته على الأرض تخضعُ لحكم الله.

٤- كيف تكون السعادة الأبديّة؟

هذا أيضًا سؤال يصعب الجواب عنه؟ نكتفي بالقول مع بولس الرسول، بعد وصف تمتزج فيه العناصر الميثولوجيّة والليترجيّة. للقائنا مع المسيح "في الجوّ": "وهكذا نكون مع الربّ دائمًا" (١ تس ٤: ١٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.softwarelabs.com

وكذلك نقول مع سفر الرؤيا: "هوذا مسكن الله مع الناس، سيسكن معهم، ويكونون له شعبًا، وهو الله – معهم يكون إلههم" (رؤ ٢١: ٢).

أن يكونَ إنسانٌ مع شخص آخر ويحيا معه، هذا هو فرح الحضور واللقاء. وأن يكونَ إنسانٌ مع الله، مبدأ كيانه وغاية وجوده، هذا هو أقصى سعادته في هذا الدهر وفي الدهر الآتي. إيماننا هو أنّ الموت لن يكون لنا تلاشيًا وعودة إلى العدم، بل لقاء مع الله وحياة أبديّة معه.

تلك العلاقة نُعبِّر عنها مستخدمين أسلوب المماثلة، فنشبّه حياتنا مع الله بالألفة البشريّة التي تجمع بين الأب وأبنائه. فنصير على مثال الله، ونعرفه كما يعرفنا، ونتّحد به الوحدة الكاملة: "أيها الأحبّاء، نحن من الآن أولادُ الله، و لم يتبيّن بعد ماذا سنكون. غير أنّا نعلم أنّا، إذا ما ظهر، سنكون أمثالَه، لأنّا سنعاينُه كما هو" (١ يو ٣: ٢). تلك العلاقة ستحوّلنا إليه، لأننا "سنشاهده وجهًا إلى وجه" (١ كور ١٣: ١٢).

بفضل قيامة المسيح يتّخذ الموت المسيحيّ معنى جديدًا إيجابيًّا، وفاقًا لقول بولس الرسول: "إنّ الحياة لي هي المسيح، والموت لي ربح" (في ١: ٢١)؛ "وما أصدقَ هذا القول: إن نحن متنا معه، فسنحيا معه" (٢ تي ٢: ١١). يقول كتاب **تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة**: "هنا تكمن جدّة الموت المسيحيّ الأساسيّة: بالمعموديّة، المسيحيّ هو أسراريًّا "ميت مع المسيح"، ليحيا حياةً جديدة؛ وإن متنا في نعمة المسيح، يُكمّل الموتُ الطبيعيُّ هذا "الموتَ مع المسيح" ويُتمّ هكذا انضمامَنا إلى جسده في عمله الفدائيّ" (الفقرة ١٠١٠).

ويقول القدّيس إغناطيوس الأنطاكي: "إنّه من الأفضل لي أن أموتَ في المسيح يسوع على أن أملكَ على أقاصي الأرض. إنّه هو الذي ألتمس، هو الذي مات من أجلنا؛ الذي أريد، هو الذي قام من أجلنا. ولادتي تقترب (...). دعوني أنال النور الصافي؛ متى صرت هناك، إذّاك أصير إنسانًا" (إلى الرومانيّين ٦: ١-٢). ويقول أيضًا: "لقد صُلِبَت رغبتي الأرضيّة؛ (...) إنّ فيّ ينبوعَ ماء حيّ يتمتم ويقول في داخلي: هلمّ إلى الآب" (إلى الرومانيّين ٧: ٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.softwarelabs.com

٥- قيامة المسيح حدث الخلاص وبدء الحياة الجديدة

بالقيامة دخل يسوع في مجد الله. وبما أنّ يسوع هو الإنسان الجديد ورأس البشريّة، يُمكننا القول إنّ البشريّة كلّها قد دخلت في رأسها إلى مجد الله. يقول بولس الرسول: "إنّ الله... قد أحيانا مع المسيح... ومعه أقامنا، ومعه أجلسنا في السماوات في المسيح يسوع" (أف ٢: ٥، ٦)؛ "موطنُنا نحن هو في السماوات" (في ٣: ٢٠).

والليترجيّا تُؤكِّد بقوّة هذه الحقيقة، كما نقرأ في صلوات عيد الصعود في الغروب في الطقس البيزنطي: "يا يسوع الحلو، غير المنفصل من الأحضان الأبويّة، يا من عاش إنسانًا على الأرض، لقد صعدتَ اليوم من جبل الزيتون، وأصعدتَ بمحبّتك طبيعتَنا الهابطة وأجلستها مع الآب...".

"أيّها الإله، لقد جدّدتَ في ذاتك طبيعةَ آدم الهابطةَ إلى أسافل الأرض، وأصعدتَها اليوم فوق كلّ رئاسةٍ وسلطان. لأنّك، لحبّك إيّاها، أجلستَها معك، ولتحنّنك عليها وحّدتَها بك، ولاتّحادك بها تألّمتَ فيها، ولتألّمك بها أنت العادمَ التألّم مجّدتَها معك".

إيماننا بقيامة المسيح وبقيامتنا نحن مع المسيح يملأنا رجاءً ويُضفي على حياتنا الحاضرة وعلى كلّ أعمالنا معنىً جديدًا، كما يقول أيضًا بولس الرسول: "لعلمنا بأنّ الذي أقام الربّ يسوع سيُقيمنا نحن أيضًا مع يسوع، ويُظهرنا معكم أمامه. (...) ولذلك لسنا نفشل. بل ولئن كان إنسانُنا الظاهر ينهدم، فإنسانُنا الباطن يتجدّد يومًا فيومًا" (٢ كور ٤: ١٤-١٦). المضايق التي نُعانيها تتّخذ في ضوء القيامة معنىً حديدًا. فلا تعود محنًا لا تُحتَمَل بل تصير امتحانًا لإيماننا بالقيامة ولمحبّتنا لله حتّى في أوقات الشدّة، ومشاركةً من قِبَلنا في آلام المسيح الخلاصيّة، ونحن على يقين من أنّ دربنَا إلى القيامة هو نفسه دربُ الصليب الذي سار عليه المسيح، وأن لا طريقَ آخر إلى الملكوت سوى طريق بذل الذات إتّباعًا للمعلّم الإلهي الذي قال: "من أراد أن يتبعني، فليُنكر نفسه ويحمل صليبَه ويتبعني" (مر ٨: ٣٤).

قيامة المسيح تُجدِّد نظرَتَنا إلى الكون: "وعليه، فمنذ الآن لا نعرفُ أحدًا بحسب الجسد، وإن كنّا قد عرفنا المسيح بحسب الجسد، فالآن لا نعرفه كذلك. إذن، إن كان أحدٌ في المسيح، فهو خليقةٌ جديدة،

PDF created with pdfFactory trial version www.softwarelabs.com

فالقديم قد اضمحلّ، وكلّ شيء قد تجدّد" (٢ كو ٥: ١٦-١٧). قيامة المسيح تدفعنا إلى السلوك سلوكًا جديدًا: "لقد قمتم مع المسيح. فاطلبوا إذن ما هو فوق، حيث يقيمُ المسيح جالسًا عن يمين الله... لأنّكم قد متّم للعالم، وحياتُكم مستترةٌ مع المسيح في الله. ومتى ظهر المسيح الذي هو حياتُنا، فحينئذٍ تظهرون أنتم معه في المجد" (كو ٣: ١-٤).

مَن يؤمن بقيامة المسيح لا يُمكن أن يتسرّبَ اليأسُ إلى قلبه: "نحن مضايَقون من كلّ جانب، ولكنّنا لا ننحصر؛ حائرون، ولكن على غير يأس؛ مضطهَدون، ولكن على غير انخذال؛ مطروحون، ولكن على غير تلاشٍ؛ نحمل في الجسد كلّ حين موتَ يسوع، لتظهرَ حياةُ يسوع أيضًا في جسدنا المائت" (٢ كو ٤: ٨-١١). مَن يُؤمن بقيامة المسيح يُؤمن أنّ محبّة الله التي سيطرت على الموت وتغلّبت على الخطيئة في قيامة يسوع هي التي سوف تسيطر في النهاية، وأنّ الله سوف "يكون كلاًّ في الكلّ" (١ كو ١٥: ٢٨).

ولكنَّ هذا لن يتمَّ من دون مشاركة كلّ الذين يُؤمنون بالمحبّة. فقيامةُ المسيح هي النورُ الذي يُضيءُ حياةَ المسيحي والقوّة التي تدفعه إلى الإسهام في إحلال ملكوت الله على الأرض. يقول المجمع الفاتيكاني الثاني:

"إنّنا نجهل الزمانَ الذي تبلغ فيه الأرضُ والبشريّة نهايتَهما، كما أنّنا نجهلُ طريقةَ تحويل هذا الكون. إنّه يزولُ حقًّا شكلُ هذا العالم الذي شوَّهَتهُ الخطيئة، ولكنّنا نعلم أنّ الله يُعدُّ لنا مسكنًا جديدًا وأرضًا جديدة. (...) غير أنّ انتظارَ الأرض الجديدة، بدلاً من أن يُضعِفَ فينا الاهتمامَ باستثمار هذه الأرض، يجب بالأحرى أن يوقظَه فينا. ففي هذه الأرض ينمو جسدُ العائلة البشريّة الجديدة، راسمًا الخطوطَ الأولى للعالم الآتي... إنّ الملكوت حاضرٌ الآن بشكلٍ سرّيّ على الأرض، وسيبلغُ كمالَه عند عودة الربّ" **(الكنيسة في عالم اليوم، ٣٩)**.

PDF created with pdfFactory trial version www.softwarelabs.com